الدستور من القرآن العظيم

والأحاديث الشريفة

تصنيف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة - القاهرة

دار مصر للطباعة

٣٧ شارع كامل صدقي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾

[صدق الله العظيم]

ما من مجتمع يستطيع أن يعيش دون تشريع ؛ وإن أكثر الدول حضارة هى أقلها تشريعا فى الغالب ، فكثرة التشريعات وتقلبها دليل على القلق وعدم الاستقرار ؛ فالهدف الأساسى من التشريع هو حماية الأفراد وصيانة الأمن وإقامة العدل وتحقيق تكافؤ الفرص للجميع ، والمساواة أمام القانون وإرشاد المجموع لتحقيق الخير العام .

وإن كثيرا من الدول قد ضلت الصراط المستقيم عندما وضعت تشريعاتها ، إذ جعلت القانون فى خدمة فرد أو جماعة أو حزب ، مضحية بأمن الناس وحرية الكلمة وميزان العدل . ولو أن دولة من الدول قد برئت من الهوى ، فإنها تصبح مجرد شرطى سلبى ، تفرض ضرائب لتحمى الشعب من المجرمين فى الداخل والغازين القادمين من الخارج ، وقلما تهتم بالأخلاق ويقظة الضمير وطهارة النفس وسلامة القلب .

التشريع الوضعى إنما يوضع ليردع الناس عن هضم حقوق الغير أو الإضرار به ، وقلما يهتم بإشاعة المحبة بين الناس والسمو الروحى ونزع

الكراهية من القلوب . فالضيعة البشرية إذا كانت المقاييس المادية البحتة هى التى تحدد العلائق بين البشر ؛ خلفاء الله فى الأرض .

وإن الشارع فى كل زمان ومكان لا يمكن أن يخرج عن ذاته وعن هواه وإن حاول أن يكون محايدا لا شبهة فى إخلاصه وحسن نواياه ، ولن يستطيع مهما أوتى من سعة أفق أن يلم بكل القضايا والدوافع والنوازع والملابسات ، فالرجال وهم الحكام والمشرعون والقضاة ، يشرعون قواعد — بحسن نية — تزيد فى حقوقهم على حساب حقوق المرأة مثلا ، فكانت عصور الضياع التى نكبت بها الإنسانية .

ولم ينجح المشرّع فى أن يجعل الناس رقباء على أنفسهم يحاسبون ذواتهم على الهنات والهفوات والشبهات قبل الكبائر ، بل كان كل ما نجح فيه أن وضع عقوبات على المخالفات والجرائم ، لا توقع إلا على من يقع فى قبضة القانون درءا لما توهم أنه يقود إلى فساد المجتمع ، فعاش الناس بقلوب واجفة بدلا من أن يعيشوا بأفئدة راضية ونفوس مطمئنة يرفرف على الجميع المحبة والسلام .

لم ينجح أى قانون وضعى فى إقامة العدل المطلق والمساواة التامة والأخوة الحقة بين الناس ، فكانت القلاقل والفتن والمؤامرات والثورات وحرب الطبقات وأكل الأقوياء للضعفاء . وإنّ خالق الناس ، ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ ، ﴿ لا يعزب عنه مثقال

ذرة ﴾ ، ﴿ وهو بكل خلق عليم ﴾ ، ﴿ وسع كل شيء علما ﴾ ، ﴿ عليم بما فى الصدور ﴾ ، قد شرع للناس ما فيه سعادة الدنيا والآخرة ، ولكن غرور البشر جعلهم يعرضون عن شرع الله ليكتبوا بأيديهم سطور شقائهم .

إن شريعة الله تشحذ الضمائر ، وتهذب النفوس ، وتشد أواصر الأخوة الإنسانية ، وتزين الاستقامة ، وتغرى على الإصلاح ، وتنفر من الاعتداء ، وتحض على التعاون ، وتزين التقوى ، وتأمر بالإحسان والعدل ، وتشفى أمراض القلوب ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى .

وشريعة الله لا تميل مع هوى الحاكمين ولا هوى المحكومين ، بل الكل أمام العدل الإلٰهى سواء ، فالجزاء الأوفى لمن أطاع ، والعذاب المهين لمن عصى . واتباع شريعة الله يحقق سعادة الناس ، كل الناس ، فى الدنيا والآخرة .

إن المنهج الإلٰهى يحقق كرامة الإنسان ويمنحه الحرية الحقيقية ويطلقه من العبودية ، كل العبودية . يحرره من العبودية للناس بالعبودية لله رب الناس ، فيجعل للناس إلٰها وسيدا واحدا ويمنع أن يكون بعضهم آلهة لبعض .

إن الله يعلم ذلك العلم المطلق الذى يحتاج إليه وضع منهج للحياة

البشرية ، وقد وضع لنا هذا المنهج ؛ أفليس من خطل الرأى أن نحيد عنه وأن نتبع أهواء أناس مهما ارتقى تفكيرهم فهم بشر لهم نوازع وأمانى ووسوسات ؟

إلى ماذا قاد التشريع الوضعى الناس ؟ لقد نخر الفساد والانحلال والأمراض العصبية والنفسية والشذوذ العقلى والجنسى فى جسم الحضارة ، وأصبحت البشرية تعانى من التميع والاستهتار والاستخفاف بكل عقيدة وكل رأى ومذهب ، وأضحى العالم على شفا جرف هار ، فصارت العودة إلى الله طوق النجاة . ومن حسن حظنا أن بين أيدينا كتابا منيرا ينطق بالحق ، قاد سلفنا الصالح لمَّا اتبعوه إلى المجد ، وسيقودنا إذا ما عدنا إليه إلى العزة والكرامة والقوة والأمن والسلام .

ولقد زعم الذين لا يتعمقون الأشياء أن الإسلام ليست له نظرية اقتصادية متكاملة يمكن تطبيقها فى هذا العصر ، متناسين أن هذه النظرية طبقت فى صدر الإسلام لما كان الشرق الأوسط كله يسعد بتطبيق الشريعة الإسلامية ، وأنها طبقت فى عهد هارون الرشيد يوم أن كانت رقعة الدولة الإسلامية تكاد أن تكون العالم المتحضر كله فى ذلك الوقت .

المال فى الإسلام ليس مال أحد من البشر ولكنه مال الله ، والناس مستخلفون فيه ، فلا ينبغى كسب المال إلا من السبل التى يحددها

صاحب المال ، وأن ينفق فى السبل التى يحددها للإنفاق . فإن أساء المستخلف فى مال الله و لم يوفه حقه فللحاكم أن ينزع ذلك المال منه وأن يوجهه للخير العام ، فالحكومة هى الساهرة على تنفيذ أوامر الله ونواهيه ، فإن لم تقم بواجبها فعلى الشعب أن ينحيها عن الحكم . فإن قصر الشعب فإن الله يذهب الجميع ويأتى بخلق جديد ، وليس ذلك على الله بعزيز .

قضى الاسلام على عبادة المال وطغيان الثروات ، وعرف ضرورة دوران المال وأنه كالدم لا بد أن يدور دورته الكاملة فى الجسم ليظل معافى يؤدى كل عضو فيه وظيفته على خير وجه ، لذلك ذم البخل وحرّم الكنز وحض على الإنفاق .

ولا يرضى الإسلام أن يكون المال فى أيدى قلة من الناس لا ينفقونه فى الخير العام ، ولا يثير طبقة على طبقة ولا يرضى عن حمامات الدم ، فالمؤمنون إخوة . والإسلام لا يرضى عن الطغيان ، فسواء عنده طغيان الرأسماليين أو طغيان العمال ، فهو يقدس العدل ، ويعطى كل ذى حق حقه ، ويضرب على أيدى العابثين بلا تفريق ، فيقدم للناس حياة أكثر خصبا وغنى ، ويشبع كل نهم الإنسان إلى العدل المطلق والحياة الحرة الكريمة للناس .

والمال فى الإسلام عقيم لا يلد وحده ، بل لا بد من أن يتزوج العمل

ليأتى بثمرة ، وله أن يشترك فى هذه الثمرة سواء أكانت حلوة أم مرة . فإذا كانت الثمرة كسبا شارك فى الكسب ، وإذا كانت خسارة تحمل نصيبه منها . فالمال وحده عاجز عن أن يؤدى وظيفة منتجة ، بينما العمل وحده يستطيع أن يثمر فيستحق مكافأة ، يستحق أجرا . أما المال فهو لا يستحق ربا ، لأن الفائدة لا تؤدى أية منفعة عامة ولا تحقق رخاء فى الدنيا ، بل إنها تنهش بمخالبها الفتاكة أفئدة المدينين .

حرّم الإسلام الربا لأنه ابتزاز لأموال المدينين ، ولأنه يتعارض مع فلسفة الإسلام التى تنادى بالمحبة والعدل وتحريم الظلم ، ولأن الربا يشجع على إيجاد طبقة من العاطلين الذين يعيشون على إقراض الناس فائض أموالهم أو ما ورثوه عن آبائهم ، بينما الإسلام يقدس العمل ويحترم العاملين ولا يرضى عن أن يكون فى مجتمعه مصاصو دماء .

والربا لا يعكر الانسجام الاجتماعى وحسب ، وهو ليس يدخل غير مكتسب فقط ، بل إنه يفضى إلى العدوان الاقتصادى بزيادة ثروة المرابى على حساب المدين . ولم يقتصر ضرر الربا على سيطرة أفراد على أفراد بل تجاوز ذلك إلى سيطرة دول دائنة على دول مدينة ، مما يؤدى إلى شعور بالمرارة بين المدينين ، الأمر الذى قد يفضى إلى عداوة مستترة سرعان ما تكشف عن وجهها .

والإقراض فى الإسلام معونة وليس عملية تجارية ، لأن الإسلام دين

الأخلاق قبل كل شيء ، ولأن رسول الإسلام عليه السلام قد بعث ليتمم مكارم الأخلاق . وإنه من مكارم الأخلاق مد يد العون إلى أخ فى البشرية فى ضيق مالى ، وإنه ليس من الأخلاق فى شيء استغلال ضيقه لتحقيق كسب دون مجهود .

وضع التشريع السماوى الخطوط العريضة للقضايا التى تيسر للناس حياة عادلة سعيدة مستقرة ، وترك للبشر الاجتهاد فى وضع ما يصلح دينهم ودنياهم على هدى القوانين الإلٰهية ؛ وقد طبق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الشريعة الإسلامية فكانت سنته منهجا للمسلمين من بعده ، لذلك رأيت أن أضع الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التى يمكن أن نستنبط منها قوانيننا أمام من ابتلاهم الله بوضع دستور هذه الأمة ، ليجدوا فى رحابها الصراط المستقيم الذى يقودنا جميعا إلى السعادة الحقة ، سعادة الدنيا والآخرة .

القاهرة فى ١٥ / ٦ / ١٩٧١

مِنَ القُرآنِ المَجيدِ

دين الدولة :

﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ .

الحرية الدينية :

﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ .

﴿ ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين * وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » .

الدستور جمهورى :

﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ .

﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ .

﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ .

وحدة الأمة العربية :

﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ .

﴿ يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعلمون عليم * وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ .

التشريع :

﴿ شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ .

﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .

﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا : سمعنا وأطعنا ﴾ .

﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ﴾ .

﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ .

﴿ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ .

لا طبقية : الوحدة الإنسانية :

﴿ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

مصر دولة تحترم كل الأجناس : لا تفرقة عنصرية :

﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

الحياة الديمقراطية السليمة

﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ .

حرية الرأى :

﴿ ثم إنى دعوتهم جهارا ﴾ .

﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ .

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ﴾ .

﴿ وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ﴾ .

﴿ وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ .

الحرية الشخصية :

﴿ يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ .

﴿ يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ .

﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ، إن الظن لا يغنى من الحق شيئا ، إن الله

عليم بما تفعلون ﴾ .

﴿ وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ .

الديمقراطية الاجتماعية

التضامن الاجتماعى :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ .

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ .

الأسرة أساس المجتمع :

﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ﴾ .

﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ .

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ .

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ﴾ .

حقوق النساء :

﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ .

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ .

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ .

﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ .

الميراث :

﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا * للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر ، نصيبا مفروضا * وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا * وليخش الذين لو

تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا * إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا * يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ، فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ، فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ، فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين ، آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ، فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما * ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد ، فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد ، فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ، وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار ، وصية من الله والله عليم حليم ﴾ .

﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ، إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد ، فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ، وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل

حظ الأنثيين ، يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم ﴾ .

الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ .

﴿ وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ .

السلطة الشعبية :

﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ .

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ .

﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، ولولا فضل

الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾ .

الأمن والطمأنينة :

﴿ رب اجعل هذا البلد آمنا ﴾ .

﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ .

﴿ يجبى إليه ثمرات كل شيء ﴾ .

﴿ الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن ﴾ .

﴿ وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ .

المسئولية الشخصية :

﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .

﴿ فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها ﴾ .

﴿ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين ﴾ .

﴿ قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون ﴾ .

﴿ يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ .

التيسير لا التعسير :

﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ .

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ .